

Musical Care in Dialogue

الحب والتعاطف في الرعاية الموسيقية

١٣ مايو 2024 من الساعة 09:30 إلى 10:30 بتوقيت لندن عبر الانترنت مع

د. ديف كامبلين - تعليم الموسيقى، المملكة المتحدة

د. فيليبو بونيني بارالدي - علم موسيقى الشعوب، البرتغال

رفي هذه الجلسة، بدأ الدكتور ديف كامبلين بتوضيح جذور أفكاره حول الموسيقى والحب والتعاطف، منطلقاً من مشروعه "الغناء على قمة الجبل" الذي يستكشف الغناء الجماعي كوسيلة لدعم الصحة العامة (Camlin et al., 2020). وفي حديثه أشار إلى مصطلح "اللحظات السحرية" التي يعيشها المشاركون حين تصل المجموعة إلى حالة "التدفق القصوى" ويتجاوز فيها التعبير الموسيقي حدود اللغة، ليصبح شكلاً من أشكال التواصل. كما تناول مفهوم "الخطر المأمون"، حيث يتيح الغناء الجماعي للأشخاص اختبار مشاعر عميقة دون أن يصلوا إلى درجة من الشدة العاطفية التي قد تصبح مرهقة.

انتقل بعد ذلك إلى بحثه المعنون "ما علاقة الحب بالأمر؟" (Camlin, 2021)، الذي يتعمق في علم الأعصاب و العلاقات البين شخصية ويؤكد على مفهوم "الإحساس بأنك مفهوم"، أي شعور الفرد بأن الآخرين يفهمون ويعكسون تجاربه الداخلية. ووسع هذه الأفكار في كتابه "صنع الموسيقى والخيال المدني" (Camlin, 2023) الذي يناقش مفهوم "أداء العلاقات" و"أداء الحب". وأخيراً، أشار كامبلين إلى أن البنية العصبية المشتركة بين البشر وبعض الثدييات الأخرى قد تتيح إمكانية وجود "تعاطف مشترك بين الأنواع البيولوجية المختلفة".

بعد عرض كامبلين، قدّم الدكتور فيليبو بونيني بارالدي نتائج أبحاثه الميدانية في قرية رومانية (عجرية) برومانيا، حيث ركز على كيفية إثارة الموسيقى للمشاعر، خصوصاً في مواقف البكاء المصاحب للموسيقى مثل الجنازات والأعراس. لاحظ أن الموسيقيين من الروما يعزفون "ألحاناً شخصية" مرتبطة بأفراد محددتين، ما يثير مشاعر قوية ومظاهر بكاء علنية. هذه اللحظات تحمل قيمة ثقافية وطقسية، وتعمل على تسهيل التنفيس العاطفي. وأوضح بارالدي أن الموسيقى تسمح بالتأرجح بين القرب العاطفي من المجتمع والشعور بالفقد تجاه الأحياء الغائبين، مشيراً إلى أن هذه العملية التي تعزز الصحة النفسية لها نظائر في طقوس الشفاء الثقافية حول العالم، مما يبرز دور الموسيقى في إدارة المشاعر القوية وتحقيق التوازن العاطفي.

تدفعنا هذه الرؤى إلى التساؤل: كيف يمكن تطبيق مفهومي "الخطر المأمون" و"الألحان الشخصية" في تطوير ممارسات موسيقية مجتمعية جديدة تعزز القدرة على الصمود العاطفي وتقوي الروابط الاجتماعية في مجتمعات متنوعة؟

السير الذاتية للمتحدثين

الدكتور ديف كامبلين

يمتد نشاطه الموسيقي عبر مجالات الأداء، والتأليف، والتعليم، والموسيقى المجتمعية (CM) والبحث العلمي. يُدرّس التربية الموسيقية في الكلية الملكية للموسيقى وكونسرفتوار ترينيتي-لابان، وشغل منصب رئيس التعليم العالي والبحث في "سيدج جيتسهيد" (2010-2019). تشمل اهتماماته البحثية: الموسيقى المجتمعية، خصوصًا الغناء الجماعي؛ الموسيقى والصحة والرفاهية؛ وتدريب الموسيقيين. ابتكر استخدام منهجية Sensemaker® (الإثنوغرافيا الموزعة) كأداة بحثية لفهم التجارب الفنية والثقافية. في كتابه الأخير "صنع الموسيقى والخيال المدني: فلسفة شمولية"، يستكشف الإمكانيات التي تحملها الموسيقى كنظام تكيفي معقد وكمورد عالمي للاستدامة.

في مداخلته، يقترح أن مفهوم "الحب في الفعل" يظهر في صناعة الموسيقى من خلال الطرق المعقدة التي "يتناغم" بها الموسيقيون مع بعضهم البعض موسيقيًا وعصبيًا، مما يؤدي إلى إحساس "بأنك مفهوم" عبر اندماج الذات مع الآخر. ويشير إلى بحث سابق وصف فيه أحد المشاركين صناعة الموسيقى بأنها نوع من "الخطر الآمن" لتجربة الحميمية، حيث توفر فرصًا للتقارب النفسي والعصبي يمكن التحكم في شدتها. كما يناقش التحديات الفلسفية والمعرفية لفهم الحب وصناعة الموسيقى بهذه الطريقة، نظرًا لأن تجارب الحميمية هذه شديدة الفردية ولا يمكن قياسها أو مقارنتها بسهولة بسبب تداخلها المعقد مع عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية وسلوكية وموسيقية أخرى.

الدكتور فيليبو بونيني بارالدي

باحث رئيسي في معهد الإثنوموسيقولوجيا (INET-md) بجامعة نوبا، لشبونة (البرتغال)، ورئيس مجموعة البحث "الإثنوموسيقولوجيا ودراسات الموسيقى الشعبية"، وعضو مشارك في مركز البحث في الإثنوموسيقولوجيا بجامعة باريس نانثير (فرنسا). أبحاثه حول الموسيقى، والعاطفة، والصحة مبنية على عمل ميداني طويل الأمد في رومانيا وإيطاليا والبرازيل، وتتميز بطابعها بين-تخصصي الذي يجمع بين الإثنوموسيقولوجيا، وحوسبة الموسيقى، والعلوم المعرفية. حاز كتابه "موسيقى الروما والعاطفة" (2021، مطبعة أكسفورد) على جائزة ICTM (إشادة شرفية) وجائزة وليام أ. دوغلاس في الأثنوبولوجيا الأوروبية.

في مداخلته القصيرة، عرض كيف يعزف عجر ترانسيلفانيا "أغانٍ شخصية" بهدف إقامة علاقة إدراكية-تشاركية مع شخص غائب أو متوفى. في بعض الحالات، يؤدي عزف هذه الأغاني إلى نوع من الأزمة العاطفية المقصودة كتجربة تطهيرية. يفسر بارالدي هذه الأزمة بأنها حالة من التعايش بين إحساس عميق بالقرب العاطفي والجسدي من "الإخوة" وإحساس عميق بالانفصال العاطفي والجسدي عن الأحباء. تمكّن الموسيقي من التآرجح بين هاتين الحالتين النفسيتين المتضادتين، إذ تبني "جسدًا جماعيًا" يشعر فيه الجميع بالقرب والمساواة، وفي الوقت نفسه تتيح الإحساس بغياب جزء من المجتمع. ويقترح أن هذه العملية موجودة أيضًا في طقوس الشفاء في ثقافات أخرى حول العالم.